الشهب المكّية
علىٰ من تعرّض للسادة الحسينية

للعالم الفاضل

السيّد محضار بن عبدالله بن محمّد السقّاف

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

ترجمة المؤلّف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لم أعثر في هذه العجالة علىٰ ترجمة مبسوطة عن حياة المؤلّف، إلاّ ما ذكره صاحب شمس الظهيرة.

قال السيّد الشريف عبدالرحمٰن بن محمّد بن حسين المشهور في كتابه القيّم شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي: ومنهم آل السقّاف بمكّة والقنفذة والدائل آل عيدروس بن أحمد.

ومنهم: السيّد محبّ العلماء محمّد بن محمّد السقّاف المتوفىٰ بمكّة سنة (١٢٨٣) هـ.

ومنهم: ابن أخيه محضار بن عبدالله بن محمّد، وهو شيخ السادة الآن سنة (١٣٠٧) هـ بمكّة.

وجاء في الصفحة الأُولىٰ من النسخة المخطوطة: الشهب المكّيّة علىٰ من تعرّض للسادة الحسينيّة، تأليف العالم الفاضل، والسيّد الهمام الكامل الخ.

أقول: ويستفاد من مجموع ذلك أنّ المؤلّف كان من أفاضل وأعيان عصره، وألّف هذه الرسالة دفاعاً عن ولاية الأمير عبدالله باشا في بلدة ظفار.

وهما من السادة الحسينيين آل باعلوي التي تنتهي نسبهم الشريف إلىٰ علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وقد كتبت ترجمة مختصرة عن حياة الأمير عبدالله باشا في الهامش عند تعرّض المؤلّف لاسمه السامي الشريف، كما سيأتي .

وقابلت هذه الرسالة على نسخة فريدة، أصلها محفوظة في خزانة مكتبة جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية، برقم: ١٧٥٧ .

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين .

محرّم الحرام ـ سنة ١٤٣١ هـ

السيّد مهدي الرجائي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

نحمدك اللّهمّ يا من جعل البضعة النبويّة، شموس الأُمّة المحمّديّة، وخصّ الشرف والسيادة بفروع الزهراء البتول الطاهرة النقيّة.

ونشكرك علىٰ أن أطلعتهم بدوراً في أفلاك السعادة الأبديّة، وأبرزتهم كواكب الوجود، فكان بهم الإهتدىٰ في الكلّيّة والجزئيّة.

ونصلّي ونسلّم علىٰ سيّدنا محمّد المكّي التهامي المختار، القائل في حديثه: «واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار»[1] وعلىٰ آله المختصّين بالكساء[2] والمباهلة[3]، وذرّيته وأهل بيته أُولي الفضائل والمفاضلة، وأصحابه

---

(١) راجع: الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ٧٠ ـ ٧١.

(٢) وهي حديث الكساء، حيث جمع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت الكساء في بيت أُمّ سلمة، ثمّ تلا آية التطهير، رواه جمع غفير من الفريقين في معاجمهم الحديثية.

(٣) وهي آية المباهلة قوله تعالىٰ ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ وذلك حيث أراد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن يباهل أهل نجران، ⇩

الذين أقاموا الحجّة، وأظهروا المزيد الحقّ المحجّة.

أمّا بعد: فيقول فقير ربّه ذي الإسعاف **محضار بن عبدالله بن السيّد محمّد السقّاف:** لمّا اطّلعت علىٰ نسخة من العصر الجديد، نمره تاريخ (١٥ ـ ذي‌الحجّة ـ عام ١٢٩٧) ورأيت عبارة تحت عنوان «الحجاز غريبة» ونادرة عجيبة، حيث إنّها تلوّنت بلونين، وجمعت بين ضدّين، وهما الضعف والقوّة، فهي ضعيفة من حيث الاسناد والاثبات، وقويّة من جهة عظم ما احتوت عليه من القبائح والسيئات، قد مزج فيها مبتدعها حديث الإفك الصريح، وحسىٰ كأس اسنادها المعنعن بالمعضل والجريح.

حملني ذلك علىٰ إظهار فجر صدق المقال، وإشراق نور الحقّ المثلال، في مقالة مختصرة، وسمّيتها **الشهب المكّية علىٰ من تعرّض للسادة الحسينيّة،** وأسأل الله التوفيق، إلىٰ أقوم طريق، وهاك سرد عبارة العصر الجديد، لتعلم جوابها بالتحديد، ونصّها:

ورد في مطالعة أنّ حضرة الشيخ فضل أو السيّد فضل باشا نزيل الآستانة، الذي نال رتبة الوزارة من إحسان، الجناب السلطان، من مدّة وجيزة، بعث بكتاب يرجو فيه شيخ سادة الحضارم بمكّة المكرّمة، أن يرفعوا عرض محضر للحضرة السلطانيّة، متضمّناً شكرهم لعظمتها، ولهمم رجالها الكرام، علىٰ توجيه رتبة الوزارة إليه.

ويقال: إنّ القصد في ذلك إنّما هو إيهام أهل دار الخلافة بأنّ له حزباً كبيراً،

فخرج إلى المباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وروىٰ ذلك جمع كثير من الفريقين في معاجمهم التفسيرية والحديثية.

وعشائر وأنصاراً، كالأشراف بمكّة، ليتوصّل إلىٰ طلب إمارة الحجاز بناءً علىٰ ما تقدّم، وعلىٰ أنّه صار حسينيّاً، ومن رجال الدولة الكرام.

ولكن ليس بخافي أنّ السادة الحضارم هم أغراب مجاورون بأرض مكّة، وعددهم جميعاً لا يبلغ «٢٠٠» نفس، ولا تعترف لهم أهل الحجاز بالنسب؛ إذ لا يعترفون بذلك إلاّ للأشراف الذين بين أظهرهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولم يخرجوا من أرض مكّة وسناجقها.

ولا شكّ في أنّه إذا تولّىٰ فضل باشا الامارة، فلا تستمرّ جزيرة العرب على السكينة، وتكثر المشاكل على الحكومة، فإنّ العربان لا يهابون الأمير إلاّ إذا كان من الأشراف المعروفين بكثرة العشيرة. إنتهىٰ ملخّصاً بالحرف.

فأقول: إنّ حضرة مولانا الهمام، والعلم الإمام، السيّد فضل علوي باشا[1]، بلغه الله

---

(١) هو السيّد فضل باشا بن علوي بن محمّد بن سهل بن محمّد بن أحمد بن سليمان بن عمر بن محمّد بن سهل بن عبدالرحمٰن البا علوي أمير ظفار.

قال في الشمس الظهيرة (١: ٣٠٨): ومنهم الآن سنة (١٣٠٧) السيّد فضل بن علوي بن سهل، شريفاً فاضلاً، وكان والده من كبار الصالحين الخ.

وقال في الهامش: والسيّد فضل باشا ولد في ملابر بالهند، وقيل: في حضرموت، نشأ تحت رعاية والده، وتلقّىٰ عن علماء، تولّىٰ امارة ظفار في شعبان سنة (١٢٩٢) بدعوة من أهلها، وتأييد الدولة العثمانية في استانبول، ثمّ انفصل عنها بدسائس خفية سنة (١٢٩٦) هـ وأقام في استانبول، وكان له مقام عظيم في عهد السلطان عبدالحميد، وتوفّي عام (١٣١٨) هـ الخ.

أقول: وذكرت تفصيل نسبه الشريف في المجلّد الثاني من كتابي المعقبون من آل أبي طالب، فراجع.

من الخيرات ما شاء وما يشاء من أشراف السادة الحسينيين، العلويين نسباً، وأكرمهم حسباً، وله مدّة مديدة، وأشهر عديدة، نزيل عند الحضرة السلطانيّة، والذات الشاهانيّة، أدامها ربّ البريّة، لا قصد له إلاّ استعطاف مكارم الدولة العليّة، لإصلاح بلاد ظفار [١] مأوى سلفه، ونشر ألوية الدولة العثمانيّة بها له ولخلفه، حيث إنّها مستعدّة للعمارة، ومشتملة علىٰ منابع الثروة والتجارة .

فلمّا رأت الحضرة السلطانيّة أنّ تفويض إدارة ذلك المحلّ يستلزم تقليده رتبة الوزارة السنيّة، تطبيقاً للقوانين الدولية المرعيّة، أنعمت عليه بهذه الرتبة العليّة، بعد تحقّقها واطّلاعها علىٰ ما رأته فيه من كمال الاستحقاق، ومزيد الفضل الشايع في الآفاق .

فتلقّاها المشار إليه بالقبول، لإشعارها بين الدول بالالتفات الموصل للمأمول، ولا شكّ في إصابتها بما فعلت، ونجحها لما قصدت .

وما أحسن الأشياء يوماً إذا أتت ... إلىٰ أهلها من أهلها في محلّها

وهو أوّل حسيني علوي نال هذا المقام، ووصل إليه بمزيد العزّ والاحترام، في أيسر زمان، بكرم المولى المنّان .

فقول المبتدع «في مدّة وجيزة» الخ. حسد وبهتان، وهو لا يؤثر قبحاً في وجوه الحسان، كما قيل :

---

(١) هي مدينة باليمن في موضعين: إحداهما قرب صنعاء، وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري، وبها مسكن ملوك حمير، وقد قال بعضهم: إنّ ظفار هي صنعاء نفسها، ولعلّ هذا كان قديماً، فأمّا ظفار المشهورة اليوم، فليست إلاّ مدينة علىٰ ساحل بحر الهند، بينها وبين مرباط خمسة فراسخ. معجم البلدان .

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا فضله ... فـالكلّ أعـداءٌ له وخـصوم
كضرائر الحسنا قـلن لوجـهها ... حسـداً وبـغضاً أنّـه لذمـيم

وقول المبتدع «إنّ السادة الحضارم أغراب مجاورون بمكّة» هذا قول جهول حاسد، ومبغض معاند، يستحقّ عليه الطرد والحرمان، والوبال والخسران، وغضب الملك المنّان؛ لأنّه بما ادّعاه كاذب مغرور، وليس له اطّلاع علىٰ مـا هـو حـوته التواريخ والسطور، فإنّ خروج الحسينيين كغيرهم من مكّة إنّما كان لتسلّط يزيد والحجّاج والقرمطي وبني أُمية، فخافوا علىٰ دينهم القوي، وتحصّنوا بـالحصون القويّة، ولكن مرد الفصل لأصله، والرمح لا يزهو إلاّ بنصله، كما قيل:

فإنّ المـاء مـاء أبـي وجـدّي ... وبئري ذو حفرت وذو طويت

وقال الشاعر:

نعرف البطحاء وتـعرفنا ... والصـفا والبـيت يألفـنا
ولنا المعلّىٰ وخيف منىٰ ... فاعلمن هذا وكن وكـن
ولنـا خـير الأنـام أبٌ ... وعلي المرتضىٰ حسب
وإلى السـبطين نـنتسب ... نسباً ما فيه مـن وهـن

وقال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنـيسٌ ولم يسـمر بـمكّة سـامر
بـلىٰ نـحن كـنّا أهـلها فأبـادنا ... صروف الليالي والدهـور العـواثـر

وفي خروجه ﷺ من مكّة إلى المدينة المشرّفة أعظم سرّ وأُسوة لمن عـرفه، وهو صاحب الرسالة والوسيلة، وصاحب ذيل الكمال والجلال والفضيلة، كما قيل:

وكم بدت الأوطان يوماً بأهـلها ... فأورثـهم عـزّ الحـياة التـغرّب
وهـذا رسـول الله فـارق مكّـة ... علىٰ جفوةٍ لم ترضها فيه يثرب

فالحسنيون والحسينيون إذا خرجوا عن الأوطان، وحفظوا أنسابهم بكمال الاتقان، بالشواهد والأدلّة والبرهان، لا يكون سبباً في حرمان ميراث الأماكن والبلدان، ولو تقادم الزمان، والدعوة والنسبة للأب، كما نصّ عليه في كلام الملك الربّ(١).

وقول المبتدع «وعددهم جميعاً لا يبلغ» الخ، ممّا يفيد القلّة، فهو باطل حسّاً ومعنىً.

أمّا بطلانه حسّاً، فلأنّهم بحمد الله تعالىٰ العدد المتكاثر، والخير العظيم الوافر، فمجتمعهم يبلغ مائتي ألف أو يزيدون(٢)، وفيهم الذاهب والآيب لحجّ بيت الله الحرام، مستوطنون ومترحّلون(٣).

وقد دعا جدّهم الأعظم، والرسول الكريم المعظّم، صلّى الله عليه وعلىٰ آله وأهل بيته وذرّيته وعترته وسلّم، لسيّدنا عليعليه السلام والزهراءعليها السلام في بعض مقاله بقوله: بارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيبا. حتّىٰ قال سيّدنا أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيّب(٤).

---

(١) في قوله تعالىٰ ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ الأحزاب: ٥.

(٢) وقد ألّف جمع من النسّابين أنسابهم المطهّرة في كتاب مستقلّ، كالعلاّمة السيّد عبدالرحمٰن السقّاف في كتابه شمس الظهيرة في أنساب خير البريّة، وغيره، وجمعت أنا نبذة يسيرة من أنسابهم في عدّة صفحات في كتابي المعقبون من آل أبي طالب، فراجع.

(٣) وقد ذكر العلاّمة السيّد رضي‌الدين العاملي جمع منهم ممّن سكن في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في كتابه تنضيد العقود السنيّة، فراجع.

(٤) رواه السمهودي في كتاب الإشراف علىٰ فضل الأشراف ص ١٧٨، ومحبّ

وأمّا معنىً، فلقول الحماسي:

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا فقلت لها إنّ الكرام قليل

وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكثرين ذليل

وقول المبتدع «لا تعترف لهم أهل الحجاز بالنسب» الخ. هذا قول من لم يميّز بين الكفر والاسلام، ولم يعرف الفرق بين الإنعام والأنعام، فهو ممّن يكذّبه الظاهر؛ إذ يشهد بالاعتراف لهم البادي والحاضر، فإنّ اتّصال نسب السادة العلويّة الحسينيّة بصاحب الرسالة صلى الله عليه وآله (١) أمر ثبت بالتواتر والاجماع، وقد تحرّر في الرقاع، وملأ الأسماع والبقاع، بغاية الحفظ والتوقّي، والدقّة والتلقّي، خلفاً عن سلف، بالنقل والبرهان، ممّا لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه كبشان، ومن رأىٰ بعض المؤلّفات في أنسابهم حصل له كمال الاقناع بلا بهتان، فلا يقدح فيهم الغلط الواضح، والخطأ الفاضح، كما قيل:

ومن يقل للمسك أين الشذا كذّبه في الحال من شمّه

وقال الآخر:

وهبني قلت إنّ الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء

وقال الآخر:

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ فلا شكّ أن يرتاب والصبح مسفر

فإن أثبت شخص نسبه شرعاً بشاهدين، فقد أثبت الحسينيّة العلويّة عند قدومهم لحضرموت نسبهم بمئين، كما صرّح بذلك بعض المؤرّخين، قال تعالىٰ:

الطبري في ذخائر العقبىٰ ص ٣٣، وراجع: إحقاق الحقّ ١٠: ٤٠٥ ـ ٤١٥.

(١) ينتهي نسبهم الشريف إلىٰ علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١] وقال الشاعر:

وإذا لم تر الهلال فسلّم   لاناسٍ رأوه بالأبصار

كيف وقد اعتنىٰ بالسادة العلويّة أُمراء مكّة الفخام، والسلاطين العظام، حتّىٰ ميّزوا القاطنين منهم بمكّة والمدينة بأوامر وفرمانات مخصوصة، حثّت فيها وزراؤها وقضاتها بعبارات منصوصة[٢]، علىٰ إعطاء حرمتهم، والقيام بمحبّتهم، مع التحرّي في أنسابهم، وحفظ شرفهم وأحسابهم، بغاية العزّ والاحترام، والفضل والاكرام.

ورأينا العلماء والفضلاء من أهل الحجاز، يتوسّلون بهم في المهمّات، ويهرعون إليهم في السنين الممحلات، وعند حدوث المصائب المدلهمّات، ويحثّون العامّة علىٰ حبّ البضعة النبويّة في مؤلّفاتهم وخطبهم العظيمات، فصار لهم فيه التمييز التامّ، والتقدّم الذي يشهد به الخاصّ والعامّ، كما قال الشاعر:

ولا عيب فينا غير أنّ أُصولنا   لها سببٌ بالمرسلين وثيق

وانّ ظلام الجهل يمحىٰ بذكرنا   وانّا بكلّ المكرمات حقيق

وقد تكلّم جمع من المؤلّفين علىٰ صحّة نسبتهم وتحقيقها، كاليافعي، والخزرجي، والعواجي، والشرجي، وابن حجر، وغيرهم، في مؤلّفاتهم وتواريخهم، حتّى أنّ الحبيب أبابكر بن عبدالله العيدروس[٣] له قصيدة طويلة في

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) عندي صورة بعض فرامينهم في مجموعة من الوثائق التي يرتبط بالمدينة المنوّرة.

(٣) راجع: النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ١٢٤.

ذلك، حقّق فيها المقال، وعدّد فيها أهل الفضل والكمال.

ويكفي في المعرفة ما ذكره المؤرّخون من أنّ جدّ الحسينيين سيّدنا زين العابدين عليه السلام لمّا قصد المطاف وهو بغاية الازدحام، وأراد استلام الحجر الأسود، تنحّىٰ له الناس هيبة وحرمة ورعاية ومعرفة حتّى استلمه، وهشام بن عبدالملك قد نصبوا له منبراً ينتظر خفّة الزحام وهو ابن الخليفة، فسأله عنه أهل الشام، فقال: لا أعرفه، مخافة أن يرغبوا فيه، وكان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، فقال له الشامي: من هو؟ فأنشد ارتجالاً قصيدة غرّاء طويلة منها قوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت تجهله[1] ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم[2]

ومن كان جدّهم بهذه المزيّة، أفلا يكون أبناؤه معروفين بين البريّة.

نعم إن أراد المبتدع بأهل الحجاز بواديه وأعرابه من القبائل، فشهرة الحسنيين لديهم ظاهرة، وأمّا قبائل حضرموت واليمن والعراق، فشهرة الحسينيين عليهم وافرة.

وقول المبتدع «لا شكّ في أنّه إذا تولّىٰ فضل باشا» الخ. فهو شخص مخادع، مضرّ غير نافع، ويسعىٰ بإلقاء الفساد، وإيقاظ الفتن بين العباد، يستحقّ عليه النكال، والجزاء والوبال، كيف هذا؟ مع أنّ من أيّدته الدولة، رأيت ازدحام الناس

---

(١) في الديوان: جاهله.

(٢) ديوان الفرزدق ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

حوله؛ إذ يعلو ويجلّ جناب السيّد المشار إليه أنّه إذا وجّه إليه حضرة مولانا السلطان بلاد ظفار وأعمالها، بالعدد والمدد أن يحصل فيها أيّ مشكل بلا سبب بين الرعايا وعمّالها. وأمّا المشكلات بالأسباب، فهي بين الدولة مفتوحة الباب، لكن كما قيل :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذىٰ ... حتّىٰ يراق علىٰ جوانبها الدم

وأفضل الناس من كثر حاسدوه، وإنّما يعرف الفضل من الناس ذووه، ونؤمّل إن شاء الله تعالىٰ حصول مطلوبه، وإجراء لازم مرغوبه .

وأمّا ما ذكره صاحب المقالة من خصوص السادة الأشراف، سلالة آل عبدمناف، فهو أمر مسلّم على الإطلاق بلا خلاف، فإنّ امارة مكّة والعرب قد خصّت بالحسنيين، وهذا الأمر لا يحتاج إلىٰ برهان ولا تبيين، من جهات عديدة يطول فيها المقال، وليس للبحث فيها مجال، وهم الحريون بقول الشاعر :

إنّ أسيافنا الطوال الدوامي ... صيّرت ملكنا طويل الدوام

نحن قومٌ لنا سداد أمورٍ ... واصطلام الأعداء من وسط لام

واقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأهوال من وقت حام

وكما قيل :

أبى الله والخطية السمر والظبا ... وكلّ كميٍ لا يرى الذلّ مذهبا

بأن يتولّى أمر مكّة حاكماً ... سوىٰ منٍ له سيفٌ طويلٌ له شبا

ومع هذا فالحسنيون والحسينيون قرابتهم لبعضهم معروفة، وائتلافهم علىٰ غيرهم في الحاجة مألوفة، فليس للعدوّ بينهم مجال، ولا للحاسد فيهم مقال .

ويؤيّد ذلك ما ذكره أهل التواريخ وغيرهم أنّ الناصر العبّاسي لمّا طلب الشريف قتادة سنة (٦٠٩) وسار إليه متوجّهاً إلىٰ أن وصل النجف، بلغ الخليفة

وصوله، فأخرج للقائه العلماء والأعيان وكبراء الدولة، وكان ممّا أخرجوه معهم أسداً في سلسلة، فلمّا رآه الشريف قتادة تطيّر، وقال: ما لي ولأرض تذلّ فيها الأُسود، والله لا دخلتها، ورجع من النجف ولم يدخل العراق .

فلمّا بلغ الناصر ذلك كتب إليه يعاتبه، فكتب إليه الشريف قتادة الجواب، ومن جملة قوله رحمه الله تعالىٰ :

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ... ولو أنّني أعرىٰ بها وأجوع
ولي كفّ ضرغامٍ إذا ما بسطتها ... بها أشتري يوم الوغا وأبيع
معوّدة لثم الملوك لظهرها ... وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأتركها تحت الرهان وأبتغي ... بها عوضاً إنّي إذاً لرقيع
وما أنا إلاّ المسك في غير أرضكم ... أضوع وأمّا عندكم فأضيع

فلمّا وصل للناصر هذا الجواب، كتب إليه: أمّا بعد، فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنّكم منها أذلّة وأنتم صاغرون، فلمّا أحسّ الشريف قتادة بالشرّ، كتب إلىٰ بني عمّه الحسينيين بالمدينة يستنجدهم بهم، ومن جملة كلامه قوله :

بني عمّنا من آل موسىٰ وجعفرٍ ... وآل حسينٍ كيف صبركم عنّا
بني عمّنا انّا كأفنان دوحةٍ ... فلا تتركونا يتّخذنا الفنا فنا
إذا ما أخٌ خلّىٰ أخاه لآكلٍ ... بدىٰ بأخيه الأكل ثمّ به ثنّا

فلمّا أقبلت الجنود الناصريّة، أتته بنو حسين فكسروها وبدّدوا شملها، فلمّا رأى الخليفة شدّة بأسه، مدحه علىٰ سيرته، وأولاه صفا سريرته، وأقطعه قرىً

متعدّدة[١]. انتهىٰ باختصار.

هذا، وقد ظهر بما شرحناه ووضحناه، وسردناه وبيّناه، أنّ المبتدع في هذه المقالة مغرور، وانّ افتراه وهذيانه فحش وفجور، نشأ منه من قريحة خامدة، وطبيعة جامدة، حمله عليها انعكاس الزمان بتجرّي الجهّال، وسكوت أهل الكمال، حتّىٰ صار الجواد دون الحمار المصري، وأبوجهل يقدح في الحسن البصري.

ثمّ إنّه لا بأس بذكر شيء ممّا ورد من الآيات والأحاديث في البضعة النبويّة، والسلالة الهاشميّة، حسنيّة كانت أو حسينيّة، الدالّ علىٰ حبّهم وفضلهم، وإكرامهم، وذمّ بغضهم.

الآيات الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام

فمن ذلك: قوله سبحانه وتعالىٰ ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[٢].

وقوله تعالىٰ ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر﴾[٣] وأيّ وسخ وقذر أقذر من الذنوب، فدخل أولاد فاطمة عليها السلام كلّهم؟.

وقوله تعالىٰ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ﴾[٤].

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن للطبري ١: ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣. راجع: إحقاق الحقّ ٢: ٥٠١ ـ ٥٦٢ و ج ٣: ٥١٣ ـ ٥٣١ و ج ٩: ١ ـ ٦٩ و ج ١٤: ٤٠ ـ ١٠٥ و ج ١٨: ٣٥٩ ـ ٣٨٣.

(٣) سورة الفتح: ٢.

(٤) سورة الشورىٰ: ٢٣. وراجع: إحقاق الحقّ ٣: ٢ ـ ٢٣ وج ٩: ٩٢ ـ ١٠١ وغيرها.

وقوله تعالىٰ ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما﴾ (١) لمّا سئلت الصحابة عن كيفيّة الصلاة؟ فأجابهم عليه الصلاة والسلام بقوله: قولوا اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد (٢).

وقوله تعالىٰ ﴿وقفوهم انّهم مسؤولون﴾ (٣) قال الواحدي: أي عن ولاية أهل البيت عليهم السلام (٤).

وقوله تعالىٰ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ (٥) قال سيّدنا جعفر الصادق عليه السلام: نحن حبل الله (٦).

وقوله تعالىٰ ﴿سلام علىٰ إل ياسين﴾ (٧) قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: المراد بهم آل محمّد عليهم السلام (٨).

وقوله تعالىٰ ﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله﴾ (٩) إنّهم عليهم السلام هم الناس (١٠). وغير ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٢٥٢ ـ ٢٧٤ و ج ٩: ٥٢٤ ـ ٦٠٥.

(٣) سورة الصافّات: ٢٤.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ١٠٤ و ج ١٤: ١٨٢ ـ ١٨٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٣

(٦) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٥٣٩ و ١٤: ٣٨٤ ـ ٣٨٦ و ٥٢١ ـ ٥٣٢.

(٧) سورة الصافّات: ١٣٠.

(٨) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٤٤٩ و ج ٩: ١٢٧ ـ ١٢٩ و ١٤: ٣٦٠ ـ ٣٦٢.

(٩) سورة النساء: ٥٤.

(١٠) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٤٢٤ و ج ١٤: ٣٤٨ و ٣٥٠.

الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام

وأمّا الأحاديث، فكثيرة، فمن ذلك: قوله صلى الله عليه وآله: إنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ من كان من سببي ونسبي[١].

وقوله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي، وإنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة[٢].

ولهذا الحديث تزوّج عمر بن الخطّاب أُمّ كلثوم، كما هو مشهور ومعلوم[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يؤذوني في نسبي وذوي رحمي، ألا ومن آذىٰ نسبي وذا رحمي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾[٤] الآية[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: ما بال أقوم يزعمون أنّ رحمي لا تنفع، بل تنفع حتّىٰ تبلغ حاوحكم، إنّي لأشفع فأُشفّع، حتّىٰ انّ ابليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة، وحاوحكم هما حيّان من اليمن[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يؤذوني في قرابتي، من آذىٰ قرابتي فقد آذاني، ومن

---

(١) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٥.

(٢) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٥، وذخائر العقبىٰ ص ٦.

(٣) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٥) راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٥٦٧.

(٦) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٢.

آذاني فقد آذى الله[١].

وقال صلى الله عليه وآله: حبّ آل محمّد خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنّة[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيبه، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله عزّوجلّ فيه الهدىٰ والنور، فتمسّكوا بكتاب الله وخذوا به، فحثّ فيه ورغّب، ثمّ قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله عزّوجلّ في أهل بيتي، ثلاث مرّات[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّ الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيته، فلا تذهبنّ بكم الأباطيل[٥].

وغير ذلك ممّا ورد في توقيرهم وصلتهم[٦]، لاسيّما إذا كانوا مقتفين سنن جدّهم بالاتّباع، ومقتدين بشريعته الطاهرة في كلّ البقاع، فإنّهم أهل بيت أسّس الله قواعده على التقوىٰ، وجعل أهله بدور السعادة في السرّ والنجوىٰ، كما قيل :

ذرّيةٌ مثل ماء المزن قد طهروا وطهّروا فصفت أوصاف ذاتهم

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ١٨: ٥٠١ و ٥٤٣.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٩: ٤٩٧ ـ ٤٩٨ و ١٨: ٤٨٣ و ٤٨٦.

(٣) راجع: إحقاق الحقّ ١٨: ٥٤٥.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٤٣٦ ـ ٤٤٣ و ج٩: ٣٠٩ ـ ٣٧٥.

(٥) راجع: إحقاق الحقّ ١١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٦) راجع فضائلهم ومناقبهم المرويّة عن طريق العامّة إلىٰ كتاب إحقاق الحقّ وملحقاتها للقاضي الشهيد التستري والسيّد المرعشي النجفي، وكتاب الإشراف علىٰ فضل الأشراف للسمهودي.

قد حقّقت سورة الأحزاب ما جحدت ... أعـداؤهـم وأبـانت وجـه فـضلهم
كـفاهم مـا بـعمٍّ والضحىٰ شرفاً ... والنـور والنـجم مـن آي أتت بـهم
سل الحواميم هل في غـيرهم نـزلت ... وهـل أتـىٰ هـل أتـىٰ إلّا بـمدحهم
كأنّ مـن نـفس الرحمٰن أنـفسهم ... مـخلوقةٌ فـهو مـطوي بـنشرهم
تـنسّكوا وهـم أسـدٌ مـظفّرة ... فاعجب لنسكٍ وفـتك فـي طـباعهم

وقال الآخر:

أُلئك الناس إن عدّوا وإن ذكروا ... ومن سواهم فـلغوٌ غـير مـعدود
لو خـلّد الدهـر ذي عـزٍّ لعـزّته ... كـانوا أحـقّ بـتعميرٍ وتـخليد

وقال الشافعي:

يا أهـل بيت رسـول الله حـبّكم ... فرضٌ من الله فـي القـرآن أنـزله
كفاكـم مـن عـظيم القـدر أنّكـم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له(١)

وقال آخر:

آل بيت النبي طبتم وطـاب ... المدح لي فيكم وحقّ الثـناء
سدتم الناس بالتقىٰ وسواكم ... سـوّدته البـيضاء والصـفراء

وقال آخر:

يا بني الزهراء والنور الذي ... ظنّ موسىٰ أنّـه نـارٌ قـبس
لا يوالي الدهر من عاداكم ... انّه أخطر سطرٍ فـي عـبس

وقوله:

ألا يا محبّ المصطفىٰ زد صبابة ... وضمخ لسان الذكر مـنك بـطيبه

---

(١) ديوان الشافعي ص ٥٣.

ولا تـعبأن بـالمطلين فـإنّما عـلامة حبّ الله حبّ حـبيبه

هذا، ولو أراد أحد أن يحصر فضائلهم ومزاياهم في مسطور، بما يبهر العقول ويملأ السطور، لملأ من ذلك أسفاراً، ومـا يـدرك مـنها مـعشاراً، وقـد سـارت بكراماتهم الركبان، وعمّ نفع دعواتهم الصالحة جميع البلدان، فهم شموس أفلاك الوقت والأوان، وبدور منازل الأزمان، الحريّون بقول القائل :

هم الصائمون هم القائمون هـم العـالمون بآدابـها
هم الزاهدون هم العـابدون هم السـاجدون لمـحرابـها
هم قطب مـلّة ديـن الإلـه ودور الرحـاة بأقـطابها

هذا .

فائدة

يحتاج إليها الأديب، ولا يستغني عنها الحاذق اللبيب، في الشريف والسيّد .

إعلم أنّ اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأوّل علىٰ كلّ من كان من أهـل البيت، سواء كان حسنيّاً، أو حسينيّاً، أو علوياً، أو جعفرياً، أو عقيلياً، أو عبّاسياً، ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحوناً في التراجـم بـذلك، بـقوله: الشـريف العبّاسي، الشريف العقيلي، الشريف الجعفري، الشريف الزينبي .

فلمّا ولي الخلفاء الفاطميون بمصر، قصّروا اسم الشريف علىٰ ذرّيـة الحسـن والحسين عليهما السـلام فـقط، فـاستمرّ ذلك بـمصر إلى الآن. إلىٰ آخـر كـلام السيوطي[(١)] .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الألقاب: الشريف ببغداد لقب كلّ عـبّاسي،

(١) العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية المطبوع في الحاوي للفتاوي ٢: ٣١ ـ ٣٢.

وبمصر لقب لكلّ علوي الخ[١].

وقال الشيخ ابن حجر في التحفة في باب الوصايا: والشريف المنتسب من جهة الأب إلى الحسن والحسين؛ لأنّ الشرف وإن عمّ كلّ شريف إلا أنّه اختصّ بأولاد فاطمة عليها السلام عرفاً مطّرداً عند الاطلاق. ومثله السيّد هو في الأصل من يفوق أقرانه وخصّه العرف بأولاد الحسين عليه السلام في جميع الجهات الاسلاميّة من غير نكير[٢].

والحمد لله على التمام في المبدىء والختام، وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه وذرّيته وأهل بيته وعترته وسلّم. تمّ في ٤ رجب سنة (١٢٩٨).

وتمّ استنساخ هذه الرسالة تصحيحاً وتحقيقاً وتعليقاً عليها في يوم العشرين من محرّم الحرام سنة (١٤٣١) علىٰ يد العبد الفقير السيّد مهدي الرجائي في بلدة قم المقدّسة حرم أهل البيت وعشّ آل محمّد عليهم السلام.

---

(١) العجاجة الزرنبية عنه ٢: ٣١ـ٣٢.

(٢) راجع: إسعاف الراغبين ص ٤٧، والشرف المؤبّد ص ٤٠.